القصدية والإشاريات: دراسة تداولية

أ /نورة سيد أبو المجد محمد
باحثة دكتوراه
جامعة بني سويف-كلية الآداب- قسم اللغة العربية.
البريد الإلكتروني:
nourabolmagd@gmail.com

المستخلص:

تعد الإشاريات إحدى عناصر التحليل التداولي التي يتبين بالوقوف عليها أهمية السياق في كشف المعاني المقصودة خلال العملية التواصلية اللغوية التي تجمع المتكلم والمخاطب بوصفهما ركني الحدث الكلامي؛فمن خلال استعمال تلك العناصر الإشارية تتبين أهمية المعطيات غير اللغوية في سير الحدث الكلامي سواء أكانت متعلقة بالسياق المادي وما يحيط به من أشياء يقوم المتكلم بتعيينها–بالإشارة إليها–للمخاطب أم كانت متصلة بطبيعة الضمائر المستعملة من قبل المتكلم حين يستعمل ضمائر بعينها عند مخاطبته الآخرين فيكشف ذلك الاستعمال منزلة المخاطب من المتكلم وحدود علاقته به التي تتراوح بين أشدها رسمية وأكثرها إلفا, كما تكشف مقام إلقاء القول,وما يستدعيه السياق الخارجي(Context of Situation)من استعمال عنصر إشاري دون غيره.

كما تتحدد أظهر خصائص تلك الإشاريات بقدرتها على الجمع بين نوعين من الدلالات؛الدلالة المعجمية التي حددتها اللغة–وهي دلالة انغلاقية–وبين الدلالة الاستعمالية القائمة على الممارسة والإجراء في السياق,وتلك دلالة توصف بالانفتاح على السياق الاستعمالي الذي تجري خلاله عملية التواصل اللغوي بين المتكلم والمخاطب.

الكلمات المفتاحية: القصدية –التحليل التداولي –العناصر الإشارية –السياق –المتكلم –المخاطب–الحدث الكلامي –الضمائر

Abstract:

Indexical Expressions (deixis) are one of the elements of pragmatic analysis, that demonstrates the importance of context in discovering intended meanings during the linguistic communication process which collect the speaker and addressee as the two cornerstones of the speech event, It is through the use of these Dixies elements that non-linguistic informations are important for the speech event, whether related to physical context and the objects surrounding that the speaker assigns it by referring to it in the presence of the addressee, or was it related to the nature of the pronouns used by speaker ,when he the addressed others.

The most visible characteristics of the deixis elements are also determined by their ability to combin tow types of meaning; the lexical meanings of the language, it is closed meanings , and the contextual meanings which based on usage, it is opened meanings.

المقدمة:

يعد القصد حالة واعية تتملك المتكلم فتدفعه إلى إنتاج سلسلة لغوية بدافع الدخول في عملية تواصل/ تخاطب لغوي مبدؤها المتكلم,بوصفه منطلَق ذلك التواصل الذي يتطلب–ليكون عملية تواصلية تخاطبية– شخصا يخاطبه,وإطارا زمانيا ومكانيا لا يخلو منهما حدث لغوي؛فيلجأ المتكلم في سبيل بيان قصده إلى تعيينها في تواصله اللغوي,إلى جانب ما قد يشتمل عليه التواصل اللغوي من أدوات يشير بها إلى ما يحتويه سياق التلفظ المادي مما يعين المتكلم على بيان قصده, تلك هي المقومات الأساسية التي ينهض المتكلم بتحديدها في تواصله اللغوي بوصفه مركز/منطلق الحدث اللغوي التواصلي,وهي ما يسمى–ضمن نسق اللسان وعلى مستوى وحداته المعجمية–الإشاريات (Indexical Expressions/Indexicals/Deixis) (1).

هدف البحث ومنهجه:

يستهدف البحث استخلاص جملة الخصائص التي تحدد طبيعة استعمال العناصر الإشارية حال إجرائها في السياق التخاطبي,والوقوف على قصد المتكلم المتعين في استعمال عنصر إشاري دون غيره نزولا على ما يقتضيه سياق التخاطب, ذلك على مستوى الجانب النظري أما التطبيق فيرمي إلى الوقوف على تحقق تلك الخصائص

---

(1) ترجع المصطلحات السابقة الدالة على الإشاريات في الإنجليزية إلى الأصل اللاتيني (deiktikos),ويعد بيرس واضع هذا المصطلح.انظر:

-Muhammad Abdullah,Deixis:APragmatics Analysis, Language in India,vol/ 15, 12 December 2015, P4.

-Andreea Stapleton, Deixis in Modern Linguistics,vol:9,p2.

أما معاني(Index)فتدور حول التأشير,فمن معانيها:مؤشر, علامة, دلالة, دليل, رمز لتوجيه النظر إلى صورة, يفهرس/ فهرست.انظر:قاموس المورد,صـ459, 460. وانظر:د/جميل حمداوي,التداوليات وتحليل الخطاب,بحث منشور على موقع ألوكة على الشبكة العنكبوتية, صـ16, وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ,صـ16, 17.

في أحد المؤلفات التراثية المنتمية معرفيا لحقل شروح الحديث"كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" للقرطبي؛ لتبين الوعي بأهمية تلك الإشاريات وكيفية توسل الشارح بها لبيان الدلالات المقصودة من نصوص الأحاديث, وذلك بتحليل نصوص شرح الأحاديث وفق المنهج التداولي الذي يتأسس على تحليل اللغة من منطلق استعمالاته والمبادلات الكلامية الجارية بين المتكلمين؛ لبيان أثر السياق في إضفاء الدلالة على الوحدات اللغوية وإكسابها من الدلالات ما ينبئ عن قصد المتكلم.

-الإشاريات بين القصد والتداولية:

الرؤية القصدية للإشاريات:

يتوقف تحديد مرجع الإشاريات على المتكلم؛فمنه تنطلق العملية التواصلية اللغوية-بوصفه متكلما إلى مخاطب يتوجه إليه بكلامه-مرورا بسائر الإشاريات التي يدرجها في ملفوظاته,ويتم تحديدها زمانا ومكانا بزمان تكلمه ومكانه؛إذ عليه تتأسس عملية التلفظ,وبه تتحدد سائر العناصر المدرجة في عملية التلفظ,ولكن كيف تتعين الإشاريات من منظور قصد المتكلم في إطار الممارسة التداولية للغة؟

يوضح سيرل كيفية ارتباط الإشاريات أو كما يسميها-التعبيرات المرجعية- بالقصد, منطلقا من بحث الحالات العقلية القصدية,وبالتحديد الخبرة الإدراكية التي تشتمل على سمة الارتداد الذاتي[1]؛ وهي سمة ينعكس خلالها مضمون الخبرة في شروط

[1] تقوم الحالات العقلية القصدية على ركيزتي النمط النفسي والمضمون القصدي,ويتطلب الأخير شروط تحقق/ إشباع فمثلا الاعتقاد-بوصفه حالة عقلية-يشمل النمط النفسي (أعتقد أن) بينما تمثل عبارة (جون في المنزل) المحتوى/ المضمون القصدي,ويستلزم هذا المحتوى شروطا لتحققه أو إشباعه تتمثل في انطباقه أو وقوعه في العالم الخارجي. أما الخبرة الإدراكية البصرية فيتطلب مضمونها القصدي بوصفه جزءا من شروط التحقق-أن تكون الخبرة البصرية قد حدثت بسبب باقي شروط تحققها هي ذاتها,وهو المعبر عنه بالارتداد الذاتي,فما يحتاجه المضمون القصدي للخبرة البصرية ليس فقط وجود الأشياء في العالم,بل وجود تلك الأشياء في العالم بوصفها السبب في حدوث تلك الخبرة البصرية التي تحقق المضمون القصدي . انظر: القصدية بحث في فلسفة العقل,صـ75, 77, وهو ما أكده في موضع آخر بقوله"إن المقاصد تحيل على ذاتها سببيا, لا يتم إشباع القصد إلا إذا سبب القصد نفسه بقية شروط إشباعه" العقل واللغة والمجتمع, صـ158, وانظر:

تحققها,كحالة الخبرة البصرية؛ إذ تقوم شروط التحقق بالإشارة إلى الخبرة البصرية ذاتها, فرؤية اليد–كخبرة بصرية–تتحدد شروطُ تحققها في وجود اليد الذي يسبب تحقق الخبرة البصرية ذاتها,وكذلك التعبير المرجعي,فهو منطوق يتطلب تحديدُ شروطِ تحققه الإشارةَ إلى المنطوق نفسه؛ فالمنطوق(أنا أشعر بالجوع الآن) يتطلب شروط تحقق تتمثل في أن(الشخص الذي نطق(أنا)يشعر بالجوع لحظة قيامه بهذا النطق),ويستند سيرل على طبيعة المعنى الإجرائي[1] الذي تتسم به الإشاريات حين يشير إلى أن التعبير المرجعي بمعناه الجذريّ لا يحدد الموضوع المشار إليه, وإنما يعطي قاعدةً لتحديد الإشارة لكل منطوق,ومن ثم يجعل هذا المعنى الجذريُّ شروطَ تحقق هذا التعبير مرتدةً ذاتيا إلى المنطوق نفسه, وهو ما يَسِم تلك التعبيرات المرجعية بالغموض, فتشير في كل مرة إلى مرجع مختلف,مع وحدة المعنى الجذري؛فالضمير(أنا) يكون له المعنى الجذري ذاته حين أنطقه أنا أو تنطقه أنت؛ لأنه لا يشير في كل استعمال إلا إلى من نطق به[2],فتنعقد–بذلك–الصلة بين الموضوع المشار إليه ومنطوق التعبير ذاته كما قصده المتكلم,أما في منطوق إشاري من قبيل(هذا الرجل سكران),فإنه يتطلب–لنجاح الإشارة بالوصول إلى مضمون المنطوق الإشاري المرجعي الذي قصده المتكلم–مشاركةَ المخاطب في الخبرة الإدراكية البصرية المصاحبةِ منطوقَ المتكلم؛لأن هذه العبارة قصدها المتكلم وفهمها المخاطب في هذا السياق الماثل في الخبرة الإدراكية البصرية للمشار إليه المقصود,وهو ما يعني وعي كل من المتكلم والمخاطب بسياق المنطوق[3], فالتعبير المرجعي يشير إلى صلة الموضوع بمنطوق التعبير ذاته عن طريق العلاقة الرابطة

John R.Searle, The Intentionality Of Intention And Action, Cognative Science, 4 ,1980 ,Pp54,55.

[1] سيتم تناول مفهوم المعنى الإجرائي عند الحديث عن دلالة الإشاريات.

[2] انظر:القصدية بحث في فلسفة العقل,صـ278, 279.

[3] انظر:القصدية بحث في فلسفة العقل,صـ283.

بين الموضوع المشار إليه والعبارة المنطوقة[1].

وعلى هذا يمكن القول إن استعمال الإشاريات يستند إلى عاملين قصدية المتكلم[2] والخبرة المشتركة التي تمكن المخاطب من التحقق مما يشير إليه المتكلم,بواقع اشتراكهما في خبرة إدراكية وسياق واحد تنعقد في إطاره العملية التواصلية اللغوية,فالخلفية المعرفية التي للمخاطب تجعله الشخص المنوط به إسناد المراجع, كما تقتضيه أن يتوخى من بين الأشياء والموضوعات ما يكون مرشحا لإسناد وظيفة المراجع كما قصدها المتكلم,انطلاقا من كون الإشاريات تجسيدا لما بين العنصر اللغوي والسياق الخارجي من علاقة يمثل الوقوف عليها جزءا من قصد المتكلم الكامن في النص[3],وتستند-كذلك-على ما يفترض المتكلم وجوده من معلومات لدى المخاطب عما يحيل عليه حين التواصل اللغوي[4],وذلك جزء من العملية التداولية التي ينتقي خلالها المتكلمون تعبيراتٍ لغويةً بقصد تحديد كيانات معينة,مع علمهم بأن المخاطبين سيفسرون تلك التعبيرات كما أرادها المتكلمون[5],وهو ما يؤكد سمة الاستعمال التي تتسم بها اللغات البشرية الموضوعة للتواصل بين البشر,فيدركون بمجرد التواصل اللغوي كلمات من مثل هنا,والآن وأنا وأنت[6].

2-الرؤية التداولية للإشاريات:

1/2- إجرائية دلالة الإشاريات:

تتمثل السمة الأساس للإشاريات في أنها تدل بالإجراء لا بالمفهوم؛ فإذا كانت

---

(1) انظر: القصدية بحث في فلسفة العقل,صـ283.

(2) انظر:التداولية,صـ46.

(3) انظر:النظرية البرجماتية اللسانية, صـ84.

(4) انظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية ,صـ74.

(5) انظر:التداولية,صـ49

(6) انظر:آفاق البحث اللغوي,صـ16, 17.

الكلمات ذات المحتوى المفهومي تعين ذاتا, أو تصفها أو تدل على حدث يتعلق بتلك الذات, فإن الكلمات ذات المحتوى الإجرائي على خلاف ذلك؛لاستنادها إلى الإجراء بما هو مجموعة من الخطوات والتعليمات المتبعة لتحديد دلالتها؛ كأزمنة الفعل مثلا,التي تمكِّن من تحديد زمانه مضيا وحضورا واستقبالا[1] وكذلك الإشاريات؛فتتصف دلالتها بكونها إجرائية,فدلالة ضمير(أنا) يتوصل إليها بالبحث عن المتكلم,وهو إجراء يختصر في القاعدة:حدد–في مقام إلقاء القول–المتكلم, وكذلك الضمير(أنت) فيتوصل إلي دلالته بالبحث عن المخاطب,وهو إجراء يختصر–كذلك–في القاعدة: حدد–في مقام إلقاء القول–المخاطب[2].

2/2– تعيين المراجع بين علم النص والتداولية:

تتقاسم التداولية والنصية البحث في إسناد المراجع كلٌ من زاوية اهتمامه؛إذ الإحالة مبحث مشترك بين أصحاب الاتجاهين يدفعهما إلى البحث في الإشباع الدلالي لنوعي الإحالة العائدية والإشارية,على اختلافٍ بينهما في المنهج والمسار المتبع للوصول إلى تحقق هذا الإشباع الدلالي, ومن ثم التَّمكُّن من إسناد المراجع لكلا النوعين؛أما النصيون فيتناولون ما يدخل منها في حيز النص سابقا ولاحقا مُتَغَيِّين البحث عن دورها في تحقيق التماسك على المستويين التركيبي والدلالي, ومن ثم فالإحالة التي يُعْنَوْن بها هي ما تعرف بالإحالة داخل دائرة النص؛ومنها(ضمير الغائب واسم الإشارة والموصول) العوائد على عنصر لغوي مذكور,فدائرة بحثهم النص بما هو عناصر وبِنى تركيبية يحيل عنصر منها(الإحالة)على متقدم أو متأخر لتحقيق التماسك بين مكونات النص؛ فالإحالة العائدية تبعا لذلك تشبع دلاليا لتوفر المحال إليه ذي الدلالة المفهومية الذي يُكسِب تلك الإحالة الإشباع الدلالي المطلوب. أما التداوليون فيبحثون في الإحالات التي تعد مراجعها خارج دائرة النص,فكل ما يمثل

---

[1] انظر:آن روبول,وجاك موشلار,القاموس الموسوعي للتداولية,صـ**390**, والتداولية اليوم,صـ**174**, **175**, والتداولية من أوستين إلى غوفمان,صـ**133**.

[2] انظر:القاموس الموسوعي للتداولية,صـ**366**, **390**, ونرجس باديس,المشيرات المقامية,مركز النشر الجامعي,منوبة, **2009**, صـ**81**.

إشارة إلى ما هو داخل سياق التلفظ أو مقام التخاطب مما يعد صالحا للإحالة عليه مقاميا يصنف إحالة إشارية؛ويشمل ذلك ضميري المتكلم والمخاطب,والعناصر المحددة للفضاءين الزماني والمكاني(نحو الآن وهنا) وأدوات التأشير إلى ما يوجد داخل الحيز المكاني من أشياء يشار إليها لفظا بـ(أسماء الإشارة) وحدها أو مقرونة بالإيماءة.

على أن الفصل بين العنصر الإحالي العائدي والعنصر الإحالي الإشاري يشير إلى تمثُّل اللغة فكرة الحضور والغياب؛ولكن على أي أساس يرتكز الحضور والغياب؟ ذلك أمر مختلف فيه بين من يشترط حضورا خاصا,هو ذاك الحضور في العملية التخاطبية بوصفه جزءا منها, وعليه, فضميرا المتكلم والمخاطب"الشخص الأول والثاني" محتوم تمثيلُهما داخل سياق التلفظ لكونهما عماد العملية التواصلية,وبين من يستند إلى الحضور المادي, فيدرجهما كذلك,لتمتعهما بحضور مادي, كما يتكفل المقام التخاطبي بالكشف عنهما,ومن ثم فهما عنصران إشاريان باتفاق,لكن الفرق بين المذهبين يتبدى فيما وراء هذين العنصرين الإشاريين؛ فضمير الغائب"الشخص الثالث" يعد–على الرأي الأول–غائبا مقاميا,وإن تمتع بحضوره المادي؛إذ لا تتأسس عليه عملية التواصل[1], وهو, وإن كان عنصرا عائديا باتفاق فلا يمنع–وفق الرأي الثاني,أن يكون إشاريا في بعض الحالات,ومن ثم ففكرة الحضور والغياب كعماد للفصل بين ما يتحقق حضوره وما يعد غائبا متنازع فيها بين من يعتمد الحضور الحسي,فيُدخل–تبعا لذلك–كل ما/من يحضر في مقام التلفظ وسياق التخاطب مما يورده المتكلم,فيعدُّ عنصرا إشاريا,وإن لم يكن من مقومات العملية التخاطبية,كما هو شأن ضمير الإحالة العائدي(هو)[2],إذا أشير به إلى ما هو في سياق العملية التواصلية مما ليس له ذكر

[1] القاموس الموسوعي للتداولية358, 359.

[2] يشير سيرفوني إلى اختلاف الآراء بشأن الضمير(هو)بين من يبعده عن خاصية المبهمات–الماثلة في الضميرين الإشاريين (أنا وأنت),وبين من يدخله معهما في الإشاريات بذات الدرجة في الإبهام,أما الصنف الثالث فيجعله من المبهمات في مواضع

في النص[1],وبين من يقصر الإشاريات على حضور خاص يتمثل في انتهاض عملية التخاطب عليه, وهو ما ينحصر في المتكلم والمخاطب ويلحق بالثاني المنادَى,والإشارة الزمانية المحدَّدة باللحظة الآنية للتخاطب[2],فتتسع الدائرة وتضيق وفق هذين الاعتبارين,تبعا للقول بمطلق الحضور في مقام التخاطب, أوالقول بالحضور التخاطبي–أي داخل عملية التواصل بوصفه ركنا منها.

وإذا كانت مسألة تحديد أنواع الإشاريات على هذا النحو من التباين في الآراء؛ فإن ما تعتمده هذه الدراسة–بوصفه عنصرا إشاريا–ضميرا المتكلم والمخاطب عماد عملية التخاطب,والمنادى الحاضر في السياق التخاطبي,وأدوات الإشارة(أسماء الإشارة), و(ال) العهدية الحضورية التي يشار بها إلى ما يحضر المتكلم والمخاطب مما يوجد في السياق المادي, وإشاريات الزمان والمكان؛ استنادا إلى أن المحدِّد للعنصر الإشاري هو سياق التخاطب الذي يستند إلى مقومات تتمثل في طرفي عملية التواصل اللغوي,والإطارين الزماني والمكاني مما يُستدعَى ذكرُه من لدن المتكلم,فضلا عن

خاصة–وذلك إذا أمكن إحالته إلى شيء موضوعي في الواقع.انظر:عمر بلخير,الخطاب تمثيل للعالم دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية الخطاب المسرحي نموذجا,رسالة ماجستير,جامعة الجزائر,معهد اللغة العربية, 1997, صـ70.

[1] يمثل لاستعمال الضمير الغائب إشاريا بقول الله Y﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ يوسف/26,فعلى حين يعده د/فاضل السامرائي إحالةً على غير مذكور؛لأنها معروفة بالحس,يذهب د/أحمد دراج إلى استعماله للإشارة إلى الحاضر في المقام حضورا غير مشارك؛ لارتباطه بخصوصية المقام الوارد فيه,انظر:معاني النحو,57/1, وأسرار البنية النصية وتجليات المقاصد في سورة يوسف دراسة لغوية نصية مقارنة,بحث غير منشور. ولعل إيثار النص القرآني الإشارة إلى الحاضر بضمير الغيبة في هذ الموقف ليكون أدعى للتحفظ من جهة,ولعدم مواجهة الملك بذكر زوجته تصريحا باسمها في معرض الاتهام فضلا عن مخاطبته إياها بمحضر الملك,فأُتِي بضمير الغيبة لما فيه من إبهام يُكتَفى معه بالإيماءة للتخفيف من إبهام ضمير الغيبة, وقد أَوْمأ الزمخشري من طرف بعيد إلى هذا المعنى بقوله "ولولا ذلك لكتم عليها" الكشاف,تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخر, مكتبة العبيكان,الرياض,1998 ,272/3.

[2] تسند نرجس باديس الرأي الأول لأوركيوني بينما تسند الرأي الثاني–الذي تؤيده–إلى ديكرو,انظر: دلالة الحضور والغياب في الإحالة المقامية المشيرات المقامية نموذجا,بحث منشور ضمن ندوة:الإحالة وقضاياها في ضوء المقاربات اللسانية والتداولية,كلية الآداب والعلوم الإنسانية,جامعة القيروان,30نوفمبر:2ديسمبر2006,دار مسكيلياني,صـ108 , 109, وإن عزتهما في موضع آخر إلى النحاة العرب–كأول من تنبه إلى دور الحضور والغياب في تحديد علاقة الضمائر بسياقاتها الخارجية الملابسة لعملية التلفظ في مقولتي الحضور في المقام التخاطبي والحضور التخاطبي.انظر:المشيرات المقامية,صـ191.

ضمير الغائب حال استعماله إشاريا, فيتحدد باستعمال تلك العناصر الإشارية طبيعة العلاقة التفاعلية بين السياق–بمعناه الواسع الذي يضم الجانب الحسي أو المادي من أشياء– والعملية التواصلية؛إذ السمة الجامعة في هذه العناصر الإشارية توجيهها المتلقي إلى المحيط الخارجي المادي للبحث في المراجع حيث تختلط المظاهر اللغوية بغير اللغوية[1],ومن ثم تغدو الإشاريات الرابطَ بين النظام اللغوي–بوصفها وحدات لغوية منتمية إلى اللسان, وإن كانت خالية من المعنى–والسياق الذي يحتوي عملية التواصل ويقدم,بدوره,آلية تضمين تلك الإشاريات معنى حال الاستعمال–كما يرى ليفنسون بتأكيده استغلاق فهمها بعيدا عن المعلومات المستقاة من السياق[2].

3– الإشاريات في كتاب المفهم:

تستهدف المباحث الأربعة التالية رصد تناول الشارح الإشاريات, والوقوف على كيفية توظيفه إياها في بيان المعنى,وهو ما يسبر مدى وعيه بأهميتها في السياق الواردة فيه بوصفها مشيرة إلى تمثُّل الكلام–الماثل في الأحاديث– كحدث تخاطبي متعدد الأركان,ومن ثم يبين كيفية رصد الشارح له من زاويته بوصفه متلقيا غير مخاطب.

1/3– الإشاريات الشخصية:

1/3/أ–ضمير المتكلم:

ينطلق الشارح من وصف النحاة للضمائر بكونها مبهمات[3],على مستوى وصفها

---

[1] انظر: القاموس الموسوعي للتداولية, صـ375, 376.

[129] See: Levinson, Pragmatics,1983,p54, (according to) Andreea Stapleton, Deixis in Modern Linguistics,vol:9, p2.

[3] يطلق سيبويه مصطلح المبهمات على ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب؛ على الأصل ويبين ما فيها من الجمع بين سمتيْ الإبهام والتعريف,من جهة أن المتكلم لا يقول أنا ولا هو إلا إذا استغنى المخاطب عن التسمية؛فالإضمار مشروط بعلم المخاطب من يعنيه المتكلم؛أي أنها على مستوى البنية اللسانية مبهمة, أما في حال استعمالها وإجرائها في الخطاب, بين متكلم ومخاطب,فإنها تغدو معارف,ومن النحاة المتأخرين من ناقش مصطلحي المضمرات والكنايات,فأشار إلى تسوية الكوفيين بين

اللساني كوحدات لغوية/لسانية, وتحديدا عند حديثه عن ضمير المتكلم,فـ(أنا)لا يحصل بها تعريف[1], وتلك طبيعتها بغير إجراء,لكنها بالاستعمال تصير معرفة بدلالتها على من ينطقها, وفقا لما يسجل خلال حدث التكلم من معلومات سياقية تحدد مَن المتكلم, ففي النص على ضمير المتكلم يورد الشارح حديث عليτ:"نهاني رسول الله عن القراءة في الركوع والسجود, ولا أقول: نهاكم"[2]. يلجأ الشارح إلى معالجة الضمير الإشاري(ضمير المتكلم المتصل)موضحا-عن طريق افتراض مقام تخاطبي-أن ما في الحديث هو حكاية قول لصيغة النهي التي من قبيل:"لا تقرأ القرآن في الركوع", في سياق تخاطبي مفترض يجمعُ النبيَّε بعليτ,ومع إقرار الشارح بقصر اللفظ على المخاطب؛ أي في حال التخاطب المفترض,وكونه لا يُعَدَّى إلى غيره إلا بدليل من الخارج, فإنه يذهب إلى عدم تخصيص عليτ بهذا الحكم؛لتحقق ذلك الدليل الخارجي في قول النبيε "إني نُهِيتُ أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا,فأما الركوع فعظموا فيه الرب, أما السجود فاجتهدوا في الدعاء"[3],وهو ما يوضح تنبه الشارح إلى السمة الإجرائية لضمير المتكلم المتصل في (نهاني)متبعا مسار تحديد ذلك الضمير,فمقام إلقاء القول والإشارة الضميرية(الياء) يتوجه إلى عليτ,في مقابل النفي عن ضمير جمع المخاطبين"ولا أقول نهاكم",ومع ذلك يوجه الشارح المعنى إلى عدم قصر دلالة الحكم على المتكلم,لعدم وجود قرينة تعضد ذلك بل القرينة متجهة إلى نقيضه , بوجود

المصطلحين,بغير فرق.أما البصريون فيجعلون الكنايات أعم من المضمرات؛فالكنايات تكون بالأسماء الظاهرة كما تكون بالمضمرات التي لا يعتريها اللبس لما يقترن بها من أحوال تتمثل في حضور المتكلم والمخاطب وتحققه بالمشاهدة ومن ثم يغدو المتكلم أعرف المضمرات؛لأنه لا يُوهِم غيرَه,والمخاطب تِلْوُه في الحضور والمشاهدة,وأضعفها تعريفا كنايةُ الغائب.

انظر:سيبويه,الكتاب,**256/1**: **258**(ط/الأميرية), وابن يعيش,شرح المفصل, **84/3**, **85**.

[1] وذلك تعليق الشارح حين تناول بالشرح حديث الاستئذان وسبب غضب النبي-ε-من الطارق,وهو جابر بن عبد الله- حين أجاب عن سؤاله-ε-من؟,فقال:"أنا",ولم يذكر اسمه,فلم يزل إبهامه بالضمير"أنا"؛فعقب النبيε على ذلك الجواب:""أنا أنا" استنكارا. انظر: المفهم, **478/5**. ومع استعمال الطارق لضمير المتكلم لم يزل إبهامه لغياب مشاهدته من قبل المخاطب/النبيε, وحضوره أمامه.

[2] المفهم, **86/2**, **87**.

[3] المفهم, **85/2**.

نص يعارض ما يفهم من منطوق عليτ .

1/3/ب-ضمير جماعة المتكلمين:

ومن الإشارة إلى ضمير جماعة المتكلمين,ما أورده القرطبي من حديث حذيفة بن اليمان وفيه, فقالε:"اذهبا, نفي لهم بعهدهم,ونستعين الله عليهم", يبين الشارح أن الإشارة إلى ضمير جماعة المتكلمين في "نَفي" يرجع إلى النبيε,ومن ثم فهوε من وفَّي بما عهده حذيفة وأبوه للمشركين, وهو ما رآه الشارح[1]. إلا أن استعمال ضمير الجمع للإشارة إلى المتكلم المفرد, ليس من معهود النبيε,ومن ثم يمكن توجيه المعنى إلى أن النبيε لعله قصد الجمع على حقيقته,وذلك إشارة إلى نفسهε وحذيفة وأبيه جميعا بالفعل"نفي"؛ فالنبي بوصفه آمرا,وحذيفة وأبوه باتباعهما أمرهε, فكأنهم جميعا تقاسموا الوفاء بالعهد, أمرا وتنفيذا.

كما حرص الشارح -في بعض المواقف التخاطبية التي تنطوي عليها المرويات- على الوقوف إزاءها لتحديد المتكلم والمخاطب في كل جملة,ومن ذلك ما جاء في حديث أبي الطفيل,ونصه:"كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفةτ بعض ما يكون بين الناس-أي من الخصومة-,فقال: أنشدك الله كم كان أصحاب العقبة, ...قال:كنا نخبر أنهم أربعة عشر,فإن كنتَ منهم فقد كان القوم خمسة عشر....." يعمد الشارح إلى إزالة ما في الرواية من لبس ناشئ عن عدم التصريح بأسماء القائلين في كل دور تخاطبي, فيوجهها الشارح بالنص على أن المتكلم بجملة:"أنشدك الله" هو الرجل الذي لاحاه حذيفة, ويكون المخاطب المؤشر له بـ(الكاف)-ضرورةً-حذيفةτ؛إذ هما طرفا الخطاب,وفي تبادل أدوار الخطاب, يتحول المتكلم بجملة:"كنا نخبر أنهم أربعة عشر" حذيفة, أما المخاطب بجملة "فإن كنتَ منهم فقد كان القوم خمسة عشر", هو الرجل اللاحي[2].

---

[1] المفهم, **77/4**, وقد أشار القرطبي إلى وجود رواية أخرى للحديث في "الجمع بين الصحيحين بلفظ"تفيا"على الخطاب.

[2] انظر: المفهم, **411/7**, **412**.

1/3/ج- ضمير المخاطب:

كما استخلص الشارح من الضمير الإشاري(كاف المخاطب)- مُنَزَّلا في المقام التخاطبي الوارد فيه- دلالات العلاقة بين المتكلم والمخاطب كما يفهم من توجيهه للضمير في قول الله Y ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [1],يشير الشارح إلى أن ذكر(لك) في هذه الآية, وعدم ذكرها في الآية السابقة مقابَلَةٌ لموسى على قلة احترامه,.....فإن مقابلته بـ(لك)مع كاف الخطاب المفرد يشعر بقلة احترامه[2].

ومما استشكله القرطبي من ضمير المخاطب قول مروان بن الحكم:"لا أسألك بينة بعد هذا", الذي يُمثل تعقيبا على ما رواه عروة بن هشام عن أبيه أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيدτ أنه أخذ شيئا من أرضها,فخاصمته إلى مروان,فبيَّن الشارح أن وجه الإشكال يكمن في رواية الحديث بفتح ضمير الخطاب على أن المخاطب هو سعيد بن زيد,المدعَى عليه,والمعهود في القضاء ألا يكلف المدعَى عليه إقامة البينة على إبطال دعوى المدعِي؛لذا فقد رأى الشارح أن هذا الخطاب إنما يصلح أن تخاطب به المدعية,فلا تكون الرواية حينئذ بالفتح, بل بالكسر على أن المدعية هي المخاطبة؛كفا لها عن التمادي في دعواها[3].

1/3/د-الموضع البيني الذي يصلح حمله على المتكلم والمخاطب:

من بين الأحاديث التي تناول فيها الشارح الضمائر الشخصية بما تؤديه من دلالةٍ بناءً على تحديد المتكلم والمخاطب, نصوص اختلف في الوجه الذي يحمل عليه معناها تبعا لتوجيه التاء التي تصلح للإشارة إلى المتكلم والمخاطب, من ذلك حديث جرير بن عبد الله:"بايعت رسول الله على السمع والطاعة,فلقَّنَني: "فيما استطعت"[4], بين الشارح أن الرواية على وجهين فتح التاء على أنه خطاب النبيε للصحابي,ومن ثم فهو من مقول النبيε مخاطِبا به جرير.أما روايتها بالضم على التكلم,على أن

---

(1) الكهف/75.

(2) انظر:المفهم, 206/6, 207.

(3) المفهم,535/4, 536.

(4) المفهم244/1

النبيε نطقها كذلك,على التلقين إلزاما للصحابي وتكليفا؛على تقدير:قل:"فيما استطعتُ"[1],بدليل"فلقنني"؛ إذ هو صيغة للمبايعة,وذلك بخلاف حديث أبي هريرة, وفيه: "....., فقالεعند ذلك: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله,لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة"[2]؛ إذ يتضح من الضمير المتصل ومقام إلقائه,إشارته إلى النبيε, غير أن المتحدَّث عنه والمتعلق به الحكم–شخص غائب,وهو المذكور في قول النبيε"لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ", والمفترض أن ذلك الغائب حين ينطق الشهادة,لا ينطقها بلفظها المذكور فيه ضمير المتكلم المتصل:"أني",فلماذا ذكر النبي–ε–الضمير المتصل عدولا عن الاسم الظاهر "محمد"؟يتراءى لي أن الكلامَ في الحديث قسمان؛أحدهما ابتداء قول من النبيε,وهو إنشاء لفظ التشهد, وهو ما يعني نطق النبيε بنفسه لفظ الشهادة,ومن ثم أتى بضمير التكلم لا بالاسم الظاهر, ولعل ما يعضد ذلك أن مساق الحديث كما أورده الراوي يشير إلى إحدى معجزات النبيε, حيث ذكر أبوهريرة نفاد أزودة الصحابة في مسيرهم مع النبيε,فأشار عليه عمرτ أن يجمع الصحابةُ ما لديهم من بقايا الزاد,فيدعو النبي عليها,فدعا النبيε عليها حتى ملأ القوم أزودتهم[3], فقال النبي عند ذلك: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله", أما القسم الثاني من منطوقهε فيتضمن حكمَ من أقر بذلك من سائر الناس.

3/1/ل–النداء بوصفه إشارة تخاطبية:

يمثل النداء قرينة لفظية تحمل سمة التخاطب[4],فتقرب بذلك المنادى,أو بالأحرى,تؤهله لأن يكون مخاطبا؛إذ يصرح المتكلم بتعيين المنادى مخاطبا بتوجيه

---

(1) انظر:المفهم1/244, 245.

(2) المفهم, 1/198.

(3) انظر: المفهم, 1/197, 198.

(4) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ,صـ19

القصد إليه[1],وإن اختلفت وظائف النداء بين التنبيه والتوجيه–اللذين يقتضيان الحضور–والاستدعاء الذي يلزمه غياب المنادَى ومفارقته المنادِي[2]. فمن تعيين المنادى باسمه توطئة لمخاطبته ما ورد في حديث يحيي بن يعمر,وفيه,"....,فقال جبريلυ: "يا محمد! أخبرني عن الإسلام"؛حيث تجاوزت وظيفة النداء– المقتضِي حضورَ المنادي والمنادى–عليهما السلام–التنبيه أو التوجيه إلى ما استنبطه الشارح– مراعيا سياق التخاطب والحال التي جاء عليها جبريلُ النبيَّ,عليهما السلام,في حديث الإيمان– من أن نداء جبريل للنبيε باسمه كما يناديه الأعراب تعميةٌ على حاله[3].

ومما يشي به النداء من حال المتحاورين ما ورد في حديث يحيى بن يعمر,وفيه: "فاكتنفته أنا وصاحبي,...فظننت أن صاحبي سَيَكِل الكلام إلي, فقلت:"يا أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قِبَلَنا أناس يتقفرون العلم....."[4]. يشير القرطبي إلى أن اكتفاء المنادِي– راوي الحديث– بنداء عبد الله بن عمر بكنيته"أبي عبد الرحمن" يبين ما كانوا عليه من ترك الإطراء والمدح–وإن كان صاحبه جديرا بذلك– فالمنادى من أعلم الناس,وهو ابن أمير المؤمنين,ومع ذلك لم يمدحه المتكلم بشيء من تلك الصفات؛ وهو ما يوضح حرص المتحاورين على محاسبة أنفسهم بالكف عن المدح الذي يخاف منه الفتنة على المادح والممدوح؛ اكتفاء بما يعلم من فضائل المنادَى عن القول[5].

2/3/هـ–ضمير الغائب:

يعد ضمير الغائب– المشار به به إلى شخص بمحضر المتكلم يشير إليه لتعيينه

---

(1) انظر: المشيرات المقامية, صـ**248**.

(2) جمع د/محمود نحلة بين الوظائف الثلاثة للنداء–التنبيه والتوجيه والاستدعاء–وجعلها متساوية إزاء تحديد إشاريته, انظر:آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ,صـ**19**. غير أن الدراسة ترى أن ثمة فرقا بين الوظائف الثلاث في تحديد ما يعد من النداء إشاريا وهما وظيفتا التنبيه والتوجيه, أما الاستدعاء –فلضرورة غياب المنادَى المستدعَى– يخرج عن كونه شبيها بالمخاطب, فلا يعد حينذاك إشاريا, ومثله في الخروج من الإشاريات ما ينادى مجازا مما لا يتوقع استجابته.

(3)انظر :المفهم ,**139/1**.

(4) المفهم, **134/1**.

(5) انظر:المفهم,**134/1**, **135**.

للمخاطب قصدا إليه- أي حال استخدامه ضميرا إشاريا مثالا آخر على اقتران بعض المنطوقات بالإيماءة؛فهو-كاسم الإشارة-في اقترانه بعمل الجارحة التي توضح ما يقصد المتكلم تعيينه من بين ما يصلح عود هذا الضمير عليه مما يكون بحضرة المتكلم والمخاطب, ومن ثم تتعين الإيماءة رفعا للَّبس,ولتمكِّن الضميرَ من العود على مرجع نظرا لخلوه من مفسر لغوي ينهض بدور الإشباع الإحالي, وهو ما يعني-في المحصِّلة-صلاحية استعمال الضمير العائدي على نحو إشاري,فلا يكون مقصورا على الاستعمال العائدي[1].

يؤكد القرطبي خلال شرحه دور اقتران الإيماءة,بالجارحة,بلفظ الضمير الغائب المستعمل إشاريا في معرض تناوله حديث:"خير نسائها مريم ابنة عمران",فيرى الشارح أن الضمير عائد على غير مذكور,لكنه تفسره الحال المشاهدة,فالحديث لم يسبق بكلام يحيل عليه,والحال المشاهدة هي ما تبين المقصود,وتلك الحال أوضَحها فيما ورد في رواية ذكرت إيماءة أحد الرواة مصاحبة للملفوظ, ورآها الشارح حَرِيَّة بالتسجيل لتبيينها المقصود؛ففيها يكمن مرجع الضمير وهي قول الراوي: فأشار وَكِيع إلى السماء والأرض..,وكأنه يفسر الضمير[2],وهو تفسير يحيل على ما بحضرة المتكلم من سياق مادي يحتوي عملية التلفظ,فأُشير إليه قصد تعيين المراد بالضمير.

2/3- أدوات الإشارة:

تعد الإشارة جزءا من العملية التخاطبية التي تنعقد بين المتكلم والمخاطب,بما هي وحدات لغوية يستعملها المتكلم للإشارة إلى ما يحضره في السياق ببعده المادي أو الحسي[3], وهو ما يسهم في بيان مراد المتكلم من منطوقاته-وتشمل أسماء الإشارة,

---

(1) انظر: القاموس الموسوعي للتداولية, صـ**378**, **392**.

(2) انظر:المفهم, **6** /**314**, **315**.

(3) يشير ابن السراج إلى قيام اسم الإشارة بتعيين ما يحضر المتكلم فيشير إليه لتعيينه للمخاطب,كما يذكر ابن حزم أن الإشارة يشار بها إما لبعيد ويستعمل فيها:ذلك أو تلك أو هو أو أولئك أو هم أو هي أو هما,فإن كانت بهذا,أو هذه فهي راجعة إلى حاضر قريب ضرورة. انظر:الأصول في النحو,تحقيق: عبد الحسين الفتلي,مؤسسة الرسالة,بيروت,ط**3**/**1996**,

و(ال)التي للتعريف العهدي الحضوري, ويدخل فيها الأسماء الزمانية والمكانية المسبوقة بالضمير الإشاري(هذا/و(ال) الحضورية), كما يُقرن الاستعمالُ بين هذه الوحدات اللغوية الإشارية وبين الجارحة؛ فيجعل عبءَ الوصول إلى تحصيل قصد المتكلم قِسْمةً بينهما,ومن ثم يكثر اقتران أسماء الإشارة بالإيماءة؛فهي–كما يذكر الاستراباذي–لا تستغني عن إشارة حسية "إيماءة" تزيل ما بها من إبهام عند المخاطب[1],وذلك حين يكون بحضرة المتكلم والمخاطب أشياء يصلح تعيينها بالأداة, فتُقرِن الإشارةُ اللفظَ بالإيماءة زيادة في تعيين المقصود[2].

2/3/أ–أسماء الإشارة:

من المواضع التي استعمل فيها اسم الإشارة لتعيين المراد للمخاطب ما أورد الشارح من حديث عبد الله بن مسعود τ,قال:"أصلى هؤلاء خلفكم؟",يوضح الشارح أن(هؤلاء) قصد بها الإشارة إلى أفراد بحضور المتكلم والمخاطبين,وهم الأمراء الذين أخروا الصلاة عن وقتها المستحب, فكأنه قال: هؤلاء الذين خلفكم,ولم يرد به أن المخاطبين أئمتهم؛إذ قد أَمَّهم عبد الله τ [3], وإن لم ينص فيها على الإيماءة اكتفاء بذكر الجهة(خلفكم) التي لا تقع إلا على من هم خلف المخاطبين, فحددت (هؤلاء) المقصودين بالإشارة؛ واستُغنِيَ بذلك اللفظ عن الإيماءة.

أما ما التحمت فيه الإشارة اللفظية بالإيماءة, حتى ليغدو الكلام مستغلقا إذا لم يقرن بالإيماءة المصاحبة لضرورة التبيين, ما أورد الشارح في ترجمته للإمام عليτ,من قول

127/2,وانظر: ابن حزم,الإحكام في أصول الأحكام,(طبعة مصورة من نسخة بتحقيق الشيخ أحمد شاكر) دار الآفاق الجديدة,بيروت, د.ت,**27/4**.

[1] انظر:الاستراباذي,شرح الرضي على الكافية,تحقيق:يوسف حسن,منشورات جامعة قار يونس,بنغازي,ط**1996/2**, **240/3**,و د/بهاء الدين مزيد, تبسيط التداولية, شمس للنشر ,القاهرة,**2010**,صـ**73**.

[2] لعل من أوضح ما يبين النصَّ على الإيماءة المحدِّدة للمشار إليه بفصله وتعيينه من جملة المخاطبين,وإن كانوا في الأصل من نفس النوع, وفي المنزلة نفسها؛إذ كلهم مخاطبون,ما ورد من حديث عائشة–رضي الله عنها–"كانت الأعراب إذا قدموا على رسول اللهε سألوه عن الساعة...., فنظر εإلى أحدث إنسان منهم, فقالε"إن يعش هذا؛لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم", فهذا فصل ما بين المشار إليه والمخاطب. انظر:المفهم, **304/7**.

[3] انظر:المفهم, **132/2**.

النبيε لعليτ: "أشقى الناس الذي عقر الناقة والذي يضربك على هذا- ووضع يده على رأسه-حتى يخضب هذه" يعني لحيته[1], ومنه ما ورد في الحديث" فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه",وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها[2]. فالتحمت الإشارة اللفظية المبهمة بالإيماءة,فغدا أمر تفسيرها منوطا بالمخاطب بوصفه الشاهد "الحاضر" تلك الإشارة, فيحكيها بالألفاظ[3].

2/3/ب- (ال) الإشارية[4]:

تشير(ال) العهدية إلى ما يشترك المتكلم والمخاطب في معرفته إما عن طريق النص بتقدم ذكره-وهو العهد الذكري- أوالمعرفة الذهنية,أو الحضورية,وما يدخل في الإشاريات هو النوع الأخير[5] ف(ال)العهدية الحضورية يشترط في مدخولها أن يكون حاضرا في مقام التخاطب[6], بوصفه جزءا من السياق المادي/ الحسي.

يُومئ القرطبي,خلال شرحه, إلى دور تلك الأداة في الإشارة والتعيين, ومن ثم في تحديد قصد المتكلم, كما يلحظ في معالجته وظيفة (ال) الدالة على الحضور عند تناوله حديث عائشة, وفيه "يا رسول الله ! أقسمت ألا تدخل علينا شهرا,وإنك دخلت

---

(1) المفهم, **271/6**,كما جاءت الإشارة مؤكدة-في بعض المواضع-دلالة المنطوق,وإن لم يكن لفظا إشاريا,يتمثل ذلك فيما أورده الشارح من حديث عبد الله بن رباح عن أبي هريرة وفيه:فقال النبيε مخاطبا الأنصار يوم فتح مكة:"انظروا إذا لقيتموهم غدا أن تحصدوهم حصدا,وأخفى,وفي رواية, أكفى بيده ووضع يمينه على شماله"؛فمعنى الاستئصال أو الإكفاء الوارد في روايتي الحديث,مأخوذ-كما يذكر الشارح-من مفهوم الإيماءة بوضع يمناه على يسراه,وإمرارها عليها. انظر: المفهم, **630/3**.

(2) المفهم,**208/7**.

(3) انظر: المفهم,**208/7**.

(4) يحتوي التعريف إشارة ضمنية؛إذ التعريف تعيين فرد معين من بين سائر أمته,كما يذهب سيبويه,فيرتبط التعريف مفهوما بالإشارة إلى المعرَّف.انظر:الكتاب**219/1**, **220**(ط/الأميرية) ,وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر,صـ**23**.

(5) وذلك لما بين الإحالة الذكرية والحضورية من فرق من جهة الإحالة على ما هو داخل الخطاب وما هو خارجه, وهو ما تنبه إليه النحاة العرب, وأكده أصحاب النظرية الوظيفية الحديثة. انظر:الخطاب وخصائص اللغة العربية,صـ**86**, **91**.

(6) انظر:ابن هشام,مغني اللبيب,تحقيق,:د/عبد اللطيف الخطيب,السلسلة التراثية, المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب, الكويت, **1421**هـ, **2000**م, **315/1**: **317**.

ليلة تسع وعشرين أعدهن. قالε: "إن الشهر تسع وعشرون", يعقب الشارح بأن تعريف الشهر هنا تعريفُ حضور في سياق التخاطب؛أي هذا الشهر المتحدث بشأنه والمتكلَّمُ فيه[1]؛ بوصف السياق الزمني الذي جرى فيه التخاطب جزءا منه؛ وهو كذلك ما يتحدث عنه النبيε مع المخاطب/السيدة عائشة, وهو المخبر عنه بكون عدته تسعا وعشرين ليلة.

3/3-الإشاريات الزمانية والمكانية:

يمثل زمان التكلم ومكانه الإطار الذي تتم فيه عملية التخاطب أو التواصل اللغوي,وبالاستناد إليهما يتحدد ما يرد في الخطاب من إشارات زمانية ومكانية,فيعدان-بذلك-مركز الإشارة الزمانية والمكانية التي تجمع المتكلم والمخاطب,وتتمثل أهميتها في ربطها الكلام بسياقه الزماني والمكاني ربطا يجعلها المرجع الذي يتوقف عليه بيان إشاراته الزمانية والمكانية,فإذا خلا الخطاب من تلك المراجع يبدو مستغلق الفهم,فلا يستبين المقصودُ منه[2].

3/3/أ-الإشاريات الزمانية:

مما أورده الشارح من وقفات إزاء الإشارات الزمانية والمكانية الواردة في المفهم, ما ورد من قول النبيε:"إني لأعرفه الآن",فيشير الشارح إلى ما أفادته الإشارة الزمانية(الآن)المحيلة على لحظة التخاطب,فهي اسم لزمان الحال الذي يكون المتكلم عليها[3],وهو ما يعني الإحالة على وقت التحدث الذي جمع النبيε بمخاطبيه؛أي أنه كان وقت حدثهم بهذا الحديث يعرف الحجر[4].

كما تستعمل لفظة اليوم للإشارة إلى زمان التكلم,نحو:سآتي اليوم, فيتحدد المقصود

---

[1] انظر:المفهم, **140/3**.

[2] من أوضح الشواهد على أهمية تحديد المقصود بالإشارات الزمانية والمكانية ما ورد في حديث جندب,قال:جئت يوم الجرعة,فإذا رجل جالس,فقلت:ليهراقن اليوم هاهنا دماء", المفهم,**223/7**, **224**. فلا يستبين المقصود بالإشارتين الزمانية والمكانية إلا بالوقوف على مركزي الإشارة الزمانية والمكانية بالنسبة للمتكلم.

[3] انظر: المفهم, **222/6**.

[4] انظر:المفهم, **6/ 51, 52**.

بتلك الإشارة بالنظر إلى زمن التلفظ, كما تستعمل للدلالة على عصر أو فترة زمنية معينة,ومن صلاحية حملها على المعنيين ما نقله القرطبي من حديث عروة عن عائشة,وفيه,"فَهُما على ذلك إلى اليوم"؛أي بقاء نصيب النبيε في المدينة لعلي وابن عباس,وبقاء نصيبه في فدك وخيبر يوجههما الخلفاء في مصالح المسلمين,يشير القرطبي إلى أن "اليوم" في قول الراوي مقصود به زمن تلفظه الذي قد يراد به اليوم حقيقة؛أي يوم حدث الراوي بهذا الحديث[1], وقد يراد به المدة/العهد/الفترة الممتدة, وذلك هو الأرجح, كما تنبه الشارح إلى استعمال هذا اللفظ الإشاري للدلالة على الزمان الممتد ما وجه به القرطبي المشير الزماني الوارد في حديث أبي سعيد الخدري , وفيه قوله لابن صياد :"تبا لك سائر اليوم" أي خسارا لك دائما "لأن اليوم هنا يراد به الزمان"[2].

ومما يبين أهمية الإشارات الزمانية في بيان المعنى بالوقوف على سياق قوله,ما ذكره الشارح من تباين الأحوال الذي تضمنه شرحه حديث عبد الرحمن بن عمر ,وفيه:فقالε"....,إنا قافلون غدا"فأعجبهم ذلك,فضحك رسول اللهε". يقف الشارح إزاء ما تضمنه الحديث من إشارة زمانية واردة في قول النبيε فقال"إنا قافلون غدا–إن شاء الله–",وتكرارها مرتين في موقفين مختلفين,ومن ثم إشارتها إلى زمانين مختلفين؛ فتشير في الأولى إلى أن العزم على القفول كان مقررا من غد ذلك اليوم الذي كلم فيه النبيεأصحابه–وذلك نتيجة امتناع حصون الطائف–ثم لَمَّا شق على الصحابة الرجوع قبل الفتح استجاب النبي لهم ,وأذن لهم بمواصلة القتال,فلما أصابتهم الجراح,كرر النبيε قوله"إنا قافلون غدا–إن شاء الله–",فيعقب الشارح بأن تكرار القول من النبيε صادف منهم القبول في المرة الثانية؛ لما أصابهم من شدة الحال وكثرة الجراح,

[1] المفهم, 571/3, وانظر: صحيح مسلم, تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي, دار ابن حزم, القاهرة,2010.صـ517

[2] المفهم,270/7.

فضحك النبيε لِما رأى مِن اختلاف قولهم عند اختلاف الحالين[1], فاختلاف الحالين ينطوي في جانب منه على اختلاف الزمانين اللذين أحالت عليهما الإشارة الزمانية (غدا) مع وحدة ملفوظها.

3/3/ب-الإشاريات المكانية:

كما استرعت الإشارة المكانية اهتمام القرطبي؛إذ توقف إزاء المشار إليه المراد بتلك الإشارات المكانية,مبينا أثر الاختلاف في تعيين المقصود منها في استجلاء مراد الحديث,ومن ذلك قول النبيε وأشار نحو اليمن:"ألا إن الإيمان ها هنا"يوجه القرطبي دلالة الإشارة المكانية(هاهنا), تبعا لموضع المتكلم"النبيε",موردِا ما قيل عن مركز الإشارة المكانية,حيث مكان النبيεعند تكلمه, فقيل إنه كان بتبوك, فيكون بينه وبين اليمن مكة والمدينة,ثم يشير إلى ما يعضد ذلك من نصوص كقولهε في حديث جابر:"الإيمان في أهل الحجاز", ثم يورد قولا آخر بشأن مركز الإشارة المكانية, وهو أن النبيε كان بالمدينة حين قوله تلك الجملة, وعلى هذا فالمقصود بالإشارة المكانية قبائل اليمن,وذلك استنادا إلى أن كونه بالمدينة كان الغالب من أحواله[2].

ومن الإشارات المكانية التي تعين الجهة:ما ورد في حديث عبد الله بن مسعود τ,قال:"أصلى هؤلاء خلفكم؟ "فالإشارة المكانية إلى الجهة "خلفكم" أفادت تعيين المراد باسم الإشارة "هؤلاء" وهم (الأمراء),وموقعهم من المخاطبين,فكأنه قال: هؤلاء الذين خلفكم, ولم يرد به أن المخاطبين أئمتهم؛ إذ قد أمَّهم عبد اللهτ[3].

أما قول النبي فيما يرويه عن الله Y:"هاهنا إذًا؟", فهي إشارة إلى الدار الآخرة ومكان الحساب أي: أهاهنا تكذب وتقول غير الحق, كما ذكر الشارح وجها آخر يتوجه به المعنى على التهديد والوعيد, فتكون(هاهنا) إشارة إلى لزوم المهدَّد مكانه, بمعنى: اثبت مكانك, كما تقول لمن تهدده: اثبت مكانك حتى أريك[4].

---

(1) انظر:المفهم,**3/ 624**, **625**.

(2) انظر:المفهم,**237/1**.

(3) انظر:المفهم, **132/2**.

(4) المفهم, **198/7**

النتائج:

يستخلص من خلال معالجة الإشاريات وعلاقتها بالقصد بما هي إحدى أدوات التحليل في الدرس التداولي الكاشفة عن قصد المتكلم ما يلي:

1. يتطلب الوصول إلى قصد المتكلم من استعمال العناصر الإشارية إلى مشاركة المخاطب إياه في المجال الفيزيائي والخبرة الإدراكية, أي في سياق مادي واحد.
2. تسهم العناصر الإشارية الضميرية في بيان حدود العلاقة بين المتكلم بالمخاطب .
3. اتساع مجال العناصر الإشارية ليشمل ضمير الغائب في بعض الاستعمالات , وكذا أداة النداء التي تمنح المنادى سمة التعيين, وتمهد لمخاطبته, و(ال) العهدية الحضورية.
4. أما على المستوى التطبيقي فقد مثلت الإشاريات أداة لبيان قصد المتكلم في مرويات السنة؛ كما مثل اعتناء الشارح الخاص بها إدراكا منه لأهميتها في تحديد المعنى, بما تشمله من علاقة المتكلم بالمخاطب, وفقا للضمائر المستعملة في المقامات التخاطبية, وعلاقة المتكلم بالآخرين الذين يشير إليهم بحضور المخاطب, فضلا عن علاقة المتكلم بسائر ما يحتويه السياق التخاطبي من أشياء يستعين بالإشارة إليها في تحديد قصده, وقد تَمثل ذلك الاهتمام بها في وقفات الشارح المتتالية إزاء العناصر الإشارية الواردة في الأحاديث–التي رآها مما قد يستغلق فهمه, فاستدعى ذلك وقوفه لبيان المراد منها.

المصادر والمراجع:

- ابن السراج,(1996)الأصول في النحو,تحقيق:عبد الحسين الفتلي,ط3,مؤسسة الرسالة, بيروت.
- ابن حزم (د.ت),الإحكام في أصول الأحكام,(طبعة مصورة من نسخة بتحقيق الشيخ أحمد شاكر) دار الآفاق الجديدة,بيروت,.
- ابن هشام,(2000)مغني اللبيب,تحقيق,:د/عبد اللطيف الخطيب,السلسلة التراثية, المجلس

الوطني للفنون والثقافة والآداب, الكويت.

- ابن يعيش,(د.ت)شرح المفصل,طبعة المنيرية, د.ط.
- الاستراباذي(1996),شرح الرضي على الكافية,تحقيق:يوسف حسن, ط2,منشورات جامعة قار يونس,بنغازي.
- آن روبول وجاك موشلار(2003),التداولية اليوم علم جديد في التواصل,د/سيف الدين دغفوس,د/محمد الشيباني, المنظمة العربية للترجمة,بيروت.
- .....,(2010)القاموس الموسوعي للتداولية,ترجمة:مجموعة من الأساتذة بجامعة تونس,إشراف:د/عز الدين المجدوب,دار سيناترا, المركز الوطني للترجمة,تونس.
- جورج بول,(2010), التداولية,ترجمة:د/قصي العتابي,الدار العربية للعلوم, بيروت.
- جون سيرل(2009),القصدية بحث في فلسفة العقل,ترجمة:د/أحمد الأنصاري,دار الكتاب العربي,بيروت.
- د/أحمد المتوكل,(2010),الخطاب وخصائص اللغة العربية,الدار العربية,بيروت.
- بهاء الدين مزيد(2010), تبسيط التداولية, شمس للنشر ,القاهرة.
- جميل حمداوي,التداوليات وتحليل الخطاب,(موقع ألوكة على الشبكة العنكبوتية).
- فاضل السامرائي,(2003)معاني النحو,ط2, دار العاتك للنشر,القاهرة.
- محمد سالم(2012),النقد التداولي من الحدث اللغوي إلى التواصل النقدي,ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي, سلسلة الآن,مؤسسة السياب, لندن.
- محمود عكاشة,(2013)النظرية البرجماتية اللسانية,مكتبة الآداب,القاهرة.
- محمود نحلة(2002)آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر,دار المعرفة الجامعية, الأسكندرية.
- سيبويه,(1316هـ) الكتاب,الطبعة الأميرية,بولاق,القاهرة.
- صحيح مسلم,(2010) تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي, دار ابن حزم, القاهرة.
- عمر بلخير(1997),الخطاب تمثيل للعالم دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية الخطاب المسرحي نموذجا,رسالة ماجستير,جامعة الجزائر,معهد اللغة العربية.
- فيليب بلانشيه(2007),التداولية من أوستين إلى غوفمان,ترجمة:صابر الحباشة, دار الحوار,اللاذقية.
- القرطبي(أحمد بن عمر),(1996) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم,تحقيق:محي الدين ديب مستو وآخرين, دار ابن كثير, بيروت.

- نرجس باديس,(2009),المشيرات المقامية,مركز النشر الجامعي,منوبة.
- .....,(د.ت), دلالة الحضور والغياب في الإحالة المقامية المشيرات المقامية نموذجا, ضمن ندوة:الإحالة وقضاياها في ضوء المقاربات اللسانية والتداولية,كلية الآداب والعلوم الإنسانية,جامعة القيروان,المغرب,(30 نوفمبر:2 ديسمبر 2006),نشر دار مسكيلياني.

-Andreea Stapleton, Deixis in Modern Linguistics,vol:9

-John R.Searl,(1980)The Intentionality Of Intention And Action, Cognative Science,4 .

-Muhammad Abdullah,(2015),Deixis:A Pragmatics Analysis, Language in India.